العقد الفريد

لابن عبد ربه الأندلسي

للدكتور احمد احمد منصور نفادي

تعريف بالمؤلف

مؤلف هذا الكتاب هو أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد ابن عبد ربه (١) ، الذى كان جده الرابع مولى لهشام عبد الرحمن الداخل ٠

وقد ولد رحمه الله في قرطبه سنة ٢٤٦ هـ التى كانت آنذاك أعظم المدن الاندلسية مكانة وفيها نشأ وتلقى علوم الاسلام والعربية على كبار علماء الاندلس في عصره مثل « وضاح » و « الخشنى » و « بقى ابن مخلد » ٠ ثم أقبل بشغف شديد على القراءة والاطلاع ولا سيما كتب التاريخ والادب ودواوين الشعراء المشارقة ، الذين سبقوه في الظهور أو المعاصرين له والذى يقرأ كتاب « العقد الفريد » أو يقف على أشعار ابن عبد ربه يدرك انه قرأ بعض كتب الجاحظ والمبرد وابن قتيبة وسيرة ابن هشام وأشعار الجاهليين والاسلاميين ٠

وكان ابن عبد ربه أديبا شاعرا ، « فقد صدر عقده بمقدمة من انشائه ، كما فرش لكل كتاب من كتب العقد بتوطئة من نثره » (٢) .

---

(١) يمكن الرجوع فى ترجمته وأخباره الى : معجم الأدباء لياقوت جـ ٤ ص ٢١١ ، ووفيات الأعيان لابن خلكان جـ١ ص٣٢ ، و « ابن عبدربه وعقده » لجبرائيل جبور (بيروت ص ١٩٣) والأدب الأندلسى من الفتح الى سقوط الخلافة للدكتور أحمد هيكل ٠

(٢) مقتطفات من كتب الأدب العربى ص ٢٥٢ لطه حسين وآخرين ٠٠

ومن هذا النثر نتبين أن أسلوبه الكتابي يمتاز بالايجاز والسلاسة من الفضول والبراءة من التعقيد ، كما يمتاز بسهولة الالفاظ وعذوبتها ، واتزان العبارة وحسن سبكها وتحاشي الغريب من المفردات ٠

حديثه يدل على انه زار العديد من بلدان المشرق وعدده ، فقد وصف في « العقد » المسجد الحرام والمسجد النبوي وبعض الاماكن المقدسة ، ومع ان هذه الرحلة الى المشرق كانت في الاصل بقصد أداء فريضة الحج فانها كانت بجانب ذلك لتوسيع الدراسة وتعميق العلم وتقوية الاتصال بثقافة المشرق التي كانت دائما المصدر الاول لثقافة الاندلسيين ٠

وقد امتد بابن عبد ربه الاجل فعاش نحو اثنتين وثمانين سنة ، ثم وافته منيته سنة ٣٢٨ هـ ودفن بقرطبة ٠٠ رحمه الله رحمة واسعة ٠

ابن عبد ربه الشاعر :

ولقد كان ابن عبد ربه بالاضافة الى ثقافته الواسعة واطلاعه الغزير شاعرا مبدعا ، متدفق الشاعرية ، وقد أفادته ثقافته المتشعبة في صقل موهبته الشعرية بحيث انه كان من ألمع شعراء الاندلس في عهد الامير « عبد الرحمن الناصر » الذي مدحه ابن عبد ربه ضمن قصيدة قصصية طويلة بلغت عدتها أربعين وأربعمائه بيت (١) ٠

ولقد كانت لابن عبد ربه شخصيته الشعرية المتميزة على الرغم من تأثره بأساتذته من شعراء المشرق ، وتتسم شخصيته الشعرية بالبساطة والوضوح وجمال التعبير ٠٠ فهو لم يكن يسير في ركاب

---

(١) المرجع السابق والصفحة ذاتها ٠

المشارقة وانما كان يعارضهم ويهدف الى التفوق عليهم ، وكان مدفوعا الى ذلك بثقافته الادبية الواسعة وطبعه الفنى الاصيل ، وروحه الاندلسى الطموح المتفق مع الاتجاه العام لعصره ، حيث كان الاندلسيون يحاولون دائما تأكيد ذواتهم الاندلسية واثبات عدم تخلفهم عن المشارقة ، فهو لم يكن يأخذ معانى المشارقة وانما كان يحاول اثبات قدرته على الاتيان بمثلها أو بأحسن منها ، وهو لم يكن يتخذ لنفسه اماما من شعراء المشرق في كل فن ، وانما كان يعارض هؤلاء الائمة ليثبت أنه مثلهم او أقدر منهم ، وهو لم يجانب التحرر ، ويترك الاصغاء الى قلبه ، وانما تحرر فلم يلتزم مذهبا معينا ، واصغى الى قلبه فقال في كل احاسيسه وخلجاته .. وانظر الى قوله في معارضة «مسلم بن الوليد» ثم تعليقه هو على تلك المعارضة لترى انه ما كان يسير في ركاب شعراء المشرق ، وانما كان يحاول ان يسبقهم .. يقول ابن عبد ربه في معارضة قصيدة مسلم التى مطلعها ..

« أديرا على الراح لا تشربا قبلى »

أتقتلنى ظلما وتجحدنى قتلى ... وقدقام من عينيك لى شاهدا عدل
أطلاب زحلى ليس بى غير شادن ... بعينيه سحر فاطلبوا عنده زحلى
أغار على قلبى فلما أتيته ... أطالبه فيه أغار على عقلى
بنفسي التى ضنت بزد سلامها ... ولو سألت قتلى وهبت لها قتلى
اذا جئتها صدت حياء بوجهها ... فيعجبنى هجر ألذ من الوصل
وان حكمت جارت على بحكمها ... ولكن ذاك الجور أشهى من العدل
كتمت الهوى جهدى فجرده الاسي ... بماء البكا هذا يخط وذا يملى
وأحببت فيها العذل حبا لذكرها ... فلا شيء أحلى في فؤادى من العذل

أقول لقلبى كلما ضـــامه الاسي اذا ما أتيت العز فاصبر على الذل
برأيك لا رأيى تعرضت للهـوى وأمرك لا أمرى وفعلك لا فعلى
وجدت الهوى نصلا من الموت مغمدا فجردته ثم اتكيت على النصل
فان تك مقتولا على غير ريبـة فأنت الذى عرضت نفسك للقتل

وقد عقب ابن عبد ربه على هذه القصيدة بقوله « فمن نظر في سهولة هذا الشعر مع بديع معناه ورقة طبعه لم يفضل شعر مسلم عنده الا بفضل التقدم » (١) ٠

ومما يدل على رسوخ قدم ابن عبد ربه في الشـــعر ما روى أن « أبا الطيب المتنبى » لقى أبا الوليد بن عسال الاندلسي في مسجد (عمرو بن العاص)بالفسطاط فجرى بينهما حديث ثم قال المتنبى لابن عسال ٠٠ ألا أنشدتنى لمليح الاندلسي ـ يعنى ابن عبـــد ربه ـ فأنشده قوله :

يا لؤلؤا يسبى العقول أنيقـــا ورشا بتقطيع القلـوب رفيقـــا
ما ان رأيت ولا سمعت بمثلـــه وردا يعود من الحيـاء عقيقـــا
واذا نظرت الى محاسن وجهـه ابصرت وجهك في سناه غريقـا
يا من تقطـــع خصره من ردفه ما بال قلبـك لا يكـون رقيقـا

فلما أكمل الاندلسي استعاده المتنبى ثم صفق بيده وقال « يابن عبد ربه لقد يأتيك العراق حبوا » (٢) ٠

الزحل : الثأر ـ (١) العقد الفريد ج ٣ ص ١٣٧ ، ١٣٨ والأدب الأندلسى ص ٢٢٩ ـ ومسلم بن الوليد شاعر من شعراء العصر العباسى الأول كان معاصرا لأبى نواس وقد اشتهر باسـم « صريع الغوانى » وكان من أوائل الذين سنوا البديع وتعلقوا به ٠
(٢) المرجعان السابقان ٠

« هذا وليس بين أيدينا ديوان لشعر ابن عبد ربه على الرغم من أن ديوانه كان غنيا وضخما فيما يبدو ، فقد ذكر بعض من ترجموا للشاعر ان شعره جمع « للحكم المستنصر » فجاء في نيف وعشرين مجلدا ، ولكن هذا الديوان ذا المجلدات العديدة قد ضاع ولم يبق من شعر ابن عبد ربه الا مجموعة من القصائد والمقطوعات المتفرقة بين كتب الادب والمختارات والتراجم مثل كتابه « العقد الفريد » وكتاب « يتيمة الدهر للثعلبى » وكتاب « المقتبس لابن حيان ، وكتاب المطرب لابن رحية » (١) ٠

ومن النماذج الشعرية التى رواها « للثعالبى » في « اليتيمة » لابن عبد ربه » قوله :

يا ذا الذى خط الجمال بخده خطين هاجا لوعة وبلابلا
ما صح عندى أن لحظك صارم حتى لبست بعارضيك حمائلا

وقوله :

ومعذر نقش الجمال بمسكه خداله بدم القلوب مضرجا
لما تيقن أن سيف جفونه من نرجس جعل النجاد بنفسجا

وقوله :

أيها البدر الذى ضن علينا بالطلوع
ابغ لى عندك قلبا طار من بين ضلوعى
يا بديع الحسن كم لى فيك من وجد بديع

---

(١) معجم الأدباء جـ ٤ ص ٢٢٢ والأدب الأندلسى ص ٢٣٠ ٠

وقـــوله :

وسـاحبة فضل الذيول كأنهـــا قضيب من الريحان فوق كثيب
أنا مابدت من خدرها قبل صاحبى أطعنى وخذنى من وصلها بنصيبه

وقـــوله :

سرى طيف الحبيب على البعـاد ليصـــلح بين عينى والرفـــاد
فبات الى الصباح يدى وســـاد لوجنتـــه كمـــا يده وســـادى
بنفسي من أعـــاد الى نفسي ورد الى جوانحـــــه فـؤادى
خيـــال زارنى بلـــا رآنى عدتنى عن زيـارته عوادى (١)

وليس كل شعره في الغزل وتصوير نزعات الشباب لان ذلك فيما يبدو كان خلال الحقبة الاولى من حياته عندما كان شابا يستهويه جمال الحسان وتجتذبه ملذات الحياة لانه عنـــدما تقدمت به السن وجدناه يعزف عن هذا الاتجاه وينظم أشعارا تفيض بالوقار والزهد كما تصور حكمة الشيوخ وتقواهم ٠

يقـــول :

ألا انما الدنيـــا غضـــارة أيكة اذا اخضر منها جانب جف جانب
هى الدار ما الامـال الا فجـــائع عليها ولا اللذات الا مصـــائب
وكم سـخنت بالامس عين قريرة وقرت عيون دمعها اليوم ساكب
فلا تكتحل عيناك فيها بعـــبرة على ذاهب منهـــا فانك ذاهب

كما عرفت له أشـــعار تسمى « المحصان » فالها بعد توبته في الشطر الاخر من حياته وعارض بها اشعارا كان قد قالها ايام لهوه

---

(١) اليتيمة جـ ٣ ص ٧ ، ٨ ، ٩ ٠

فكان تلك اشعار قد محصت ما كان من أشعاره الاولى ومن امثلة تلك المحصات قوله :

يا عاجزا ليس يعفو حين يقتدر ... ولا يقضي له من عيشه وطر
عاين بقلبك ان العين غافلة ... عن الحقيقة وأعلم انها سقر
سوداء تزفر عن غيظ اذا سعرت ... للظالمين فلا تبقى ولا تذر
ان الذين اشتروا دنيا بأخرة ... وشقوة بنعيم ساء ما تجروا
يا من تلهى وشيب الرأس يندبه ... ماذا الذى بعد شيب الرأس تنتظر
لو لم يكن لك غير الموت موعظة ... لكان فيه عن اللذات مزدجر
آنت المقول له ما قلت مبتدئا ... «هلا ادكرت لبين أنت مبتكر»(١)

« وهو يشير بهذا البيت الاخير الى قطعة له سابقة كان قد قالها ايام اللهو بمناسبة عزم محبوبه على الرحيل وسقوط المطر الذى حال بين ذلك المحبوب والسفر وفي تلك القطعة يقول ابن عبد ربه :

هلا ادكرت لبين أنت مبتكر ... هيهات يأبى عليك الله والقدر
ما زلت أبلى حذار البين ملتهفا ... حتى رثى فيك الريح والمطر
يا برده من حيا مزن على كبر ... نيرانها بغليل الشوق تستعر
آليت الا أرى شمسا ولا قمرا ... حتى اراك فأنت الشمس والقمر

العقد الفريد :

ألف ابن عبد ربه هذا الكتاب في عهد الخليفة الاندلسي عبد الرحمن الناصر أى بعد سنة ٣١٢ هـ بعد أن تلقب الناصر بأمير المؤمنين

---

(١) الأدب الاندلسي لهيكل نقلا عن جذوة المقتبس ص ٩٥ والبين : البعد ـ الحيا : المطر ـ المزن : السحب غليل الشوق : صرقته ـ تستعر : تشتعل ـ آليت : عزمت .

وان كنا نجد أن الارجوزة العروضية التى تضمنها الكتاب تشتمل على ادعاء للامير عبد الله الذى كان قد تولى الامارة قبل الناصر مما يدل على انه بدأ تأليفه قبل عهد الناصر ثم انتهى منه في أيامه ٠

ولم يكن « العقد » فقط دون وصف بالفريد ، ومن هذه الكتب القديمة التى كانت تشير اليه كانت تسمية « العقد » فقط دون وصف بالفريد ، ومن هذه الكتب القديمة التى تحدثت عنه « الذخيرة » لابن بسام ، و « وفيات الاعيان » لابن خلكان ٠٠ ولعل أول من ذكر كلمة فريد هو الابشيهى صاحب « المستطرف من كل فن مستظرف » وربما كان ذكر الابشيهى لتلك الصفة بدافع تكوين سجعة فهو يقول : « ونقلت كثيرا مما نقله ابن عبد ربه في كتابه العقد الفريد ورجوت أن يجد مطالعه كل ما يقصد ويريد » (١) ٠

و « العقد الفريد » كتاب أدبى جامع لفنون الخطب والشعر وأقوال العلماء والحكماء ، كما انه يتضمن بحوثا في العلوم المتصلة بالادب كعلم العروض وعلم الالحان والنتف التاريخية وأخبار العرب الجاهليين والاسلاميين وأنسابهم وأيامهم ٠ وهو من امهات الكتب الادبية حيث حوى خير ما ألف في موضوعه من الكتب السابقة « ولم يقتصر على ما عرفه ، بل نقل عن الكتب التى ترجمت الى العربية في ذلك الزمن عن اليونانية والهندية والفارسية » (٢) ٠

منهجه في تأليفه :

أوضح ابن عبد ربه في مقدمة كتابه منهجه في تأليفه حيث ذكر انه تخيره من متخير جواهر الادب ومحصول جوامع البيان وانه ليس له

---

(١) الأدب الأندلسى لهيكل ص ٢٥٩ ٠
(٢) مقتطفات من كتب الأدب العربى ص ٢٥٤ ٠

الا التأليف وحسن الاختصار وما فرش به في صدر كل كتاب وانه نطلب نظائر الكلام واشكال المعانى ، فقرن كل جنس منها الى جنسه وجعل كل جنس بابا على حدة وانه عمد في اختياره من جملة الاخبار وفنون الاثار الى اشرفها جوهرا وأظهرها رونقا وألطفها معنى وأجزلها لفظا واحسنها ديباجة وأكثرها طلاوة وانه حذف الاسانيد طلبا للاستخفاف والايجاز وأنه رأى الكتب قبله قاصرة فجعل كتابه هذا كافيا جامعا لاكثر المعانى التى تجرى على أفواه الخاصة والعامة، وتدور على ألسنة الملوك والسوقة وانه حلى كل كتاب بشواهد من الشعر تجانس الاخبار وقرن بها غرائب شعره » (١) ٠

تقسيم الكتاب وأبوابه :

تصور ابن عبد ربه كتابه عقدا مؤلفا من خمس وعشرين جوهرة كريمة : اثنتا عشرة في جانب واثنتا عشرة اخرى في جانب وواحدة في الوسط ، ولكنه لم يسم الا الاثنتى عشرة الاولى ٠

وقد بدأ كتابه « العقد » بكتاب اللؤلؤة في السلطان ، ثم ثنى بكتاب الفريدة في الحروب ومدارها ثم اتبع ذلك بكتاب الزبرجدة في الاجواد والاصفاد ، ثم بكتاب الجمانة في الوفود ثم بكتاب المرجانة في مخاطبة الملوك ، ثم بكتاب الياقوته في العلم والادب ، ثم بكتاب الجوهرة في الامثال ثم بكتاب الزمردة في المواعظ والزهد ثم بكتاب الدرة في التعازى والمراثى ثم بكتاب اليتيمة في النسب وفضائل العرب ثم بكتاب العسجدة في كلام الاعراب ثم بكتاب المجنبة في الاجوبة ، وهنا تأتى الواسطة في الخطب ، وبعد هذه الواسطة تأتى ابواب بتلك الاسماء السابقة كأنها حبات مماثلة تأتى على الجانب الاخر

---

(١) مقدمة العقد الفريد ج ١ ٠

من واسطة العقد الحقيقي فيأتي بعد الواسطة كتاب المجنبة الثانية في التوقيعات والفصول والصدور واخبار الكتبة ، ثم العسجدة الثانية في الخلفاء وتاريخهم وأيامهم ثم كتاب اليتيمة الثانية في أخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة ، ثم كتاب الدرة الثانية في أيام العرب ووقائعهم ثم كتاب الزمردة الثانية في فضائل الشعر ومقـــاطعه ومخارجه ثم كتاب الجوهرة الثانية في أعاريض الشعر وعلل القوافي ثم كتاب الياقوته الثانية في علم الالحان والاختلاف فيه ، ثم كتـــاب المرجانة الثانية في النساء وصفاتهن ثم كتاب الجمانة الثانية في بيان المتنبئين والموسوسين والبخلاء والطفيليين ثم كتاب الفريدة الثانية في الطعام والشراب ، ثم كتاب اللؤلؤة الثانية في الفكاهات والملح ٠

وهكذا ينتهى اخر باب في كتاب العقد بلؤلؤة كما بدأ أول باب بلؤلؤة ــ تماما ــ كما ينتهى أى عقد حقيقى بحبة مماثلة للحبة التى بدأ بها ٠

وأكثر مواد الكتاب تتصل بالمشرق وتاريخه وسير أعلامه وأخبار فنانيه ٠٠ والقليل جدا من مواد العقد هو ما يتصل ببلاد الاندلس ٠٠ وهذا ما حدا بالصاحب بن عباد أن يقول : « هذه بضـــاعتنا ردت الينا » (١) وذلك بعد قراءته للكتاب ٠٠

والسبب في ايراد المؤلف كتابه على هذا النحو المشرقى هو انه أراد أن ينقل الى مواطنيه ثقافة عامة عن المشرق تغنيهم عن الرجوع الى كثير من الكتب وعديد من المراجع ، كما ان المؤلف أراد أيضـــا أن يبين تفوق الاندلسيين حتى في الثقافة الشرقية نفسها ٠

---

(١) الأدب الأندلسى من الفتح الى سقوط الخلافة ص ٢٥٨ ٠

أما مصادر كتاب ابن عبد ربه فهى كثيرة متنوعة قد اتصل بها المؤلف بما أتيح له من ثقافة واسعة وعمر مديد وفي مقدمة تلك المصادر : عيون الاخبار لابن قتيبة ، والبيان والتبيين والبخلاء والحيوان للجاحظ ، ثم الكامل للمبرد ، وطبقات الشعراء لابن سلام وسيرة ابن هشام ، وكليلة ودمنة لابن المقفع ، هذا الى كثير من دواوين الشعراء الجاهليين والاسلاميين » (١) .

طريقة المؤلف وخصائص اسلوبه :

ولابن عبد ربه طريقته في العرض فهى دائما ممتعة وحكم ونوادر لا ينفعها الاسناد باتصاله ولا يضيرها حذفه منها .

وقد عمد الى اختصار أخباره طلبا للتخفيف والايجاز وهربا من التثقيل والتطويل ، وقد أحسن الاختيار وأجاد الاختصار » (٢) .

وفي العقد ألوف من ابيات الشعر لاكثر من مائتي شاعر من العصر الجاهلي والاموى والعباسي وقدر كبير من أشعاره .

والعقد الفريد عظيم القيمة من النواحى التاريخية والادبية والعلمية ، وهو ذخيرة ادبية حافلة بالنصوص القيمة شعرا ونثرا في شتى الفنون والاغراض والمواقف وهو موسوعة ثقافية عربية عامة فيها اللغة وفيها العروض ، بل وفيها الموسيقى وهو الى ذلك مصدر لمعرفة كثير من تاريخ الاندلس واخبار حكامها وعادات أهلها .

والكتاب بعد ذلك كله أهم مرجع لفن ابن عبد ربه فهو يشتمل

---

(١) المرجع السابق ص ٢٥٩ :
(٢) المرجع السابق .

على نماذج كثيرة من شعره ونثر ابن عبد ربه ـ كما يبدو من كتابه ـ نثر جيد خال من التكلف أقرب الى الوضوح والسلاسة مع ميل شديد الى الاقتباس والاستشهاد وايراد مأثور القول مع رغبة في التزيين والسجع في بعض الاحيان ٠

« نماذج مختارة من العقد الفريد »

كتاب الزبرجدة في الأجواد والأصفاد

(١)

« فرش الكتـاب »

قال احمد بن محمد بن عبد ربه تغمده الله برحمتـه : قد مضي قولنا في الحروب وما يدلخلها من النقص والكمال وتقدم الرجال على منازلهم من الصبر والجلد والعدة والعدد ، ونحن قائلون بعـون الله وتوفيقه في الاجواد والاصـفاد ، اذ كان أشرف ملابس الدنيا وأزين حللها وأجلبها لحمد وادفعها لذم واسترها لعيب ، كرم طبيعة يتحلى بها السمح السرى والجواد السخى ، ولو لم يكن في الـكرم الا أنه صفة من صفات الله تعالى تسمى بها لكفى ، فهو الكريم عز وجل ومن كان كريما من خلقه فقد تسمى بأسمه واحتذى على صفته ٠

---

(١) الصفد بفتح الفاء وسكونها العطاء يقول الأعشى :

تضـــيفته يوما فقرب مقعدى وأصـــفدنى على الزمانة قائدا

(لسان العرب) والسرى بفتح السين وكسر الراء الشريف يقول الأفوه الأودى : لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم الخ

(٢)

« لطيف الاستمناح »

كان أبو جعفر المنصور أيام بنى أميه اذا دخل البصرة دخل مستترا فكان يجلس في حلقة أزهر السمان (١) المحدث فلما أفضت الخلافة اليه قدم عليه أزهر فرحب به وقربه وقال له : ما حاجتك يا أزهر ؟ قال : دارى متهدمة وعلى أربعة الاف درهم وأريد ان يبنى ابنى محمد لعياله ، فوصله باثنى عشر ألفا وقال : قد قضينا حاجتك يا أزهر فلا تأتنا طالبا ، فأخذها وارتحل .

فلما كان بعد سنة اتاه فلما رآه أبو جعفر قال : ما جاء بك يا أزهر ؟ قال : جئتك مسلما وعائدا قال : انه يقع فيخلدأمير المؤمنين انك جئت طالبا ، قال : ما جئت الا مسلما وعائدا ، قال : قد أمرنا لك باثنى عشر ألفا وانهب فلا تأتنا طالبا ولا مسلما ولا عائدا ، فأخذها وانصرف فلما مضت السنة أقبل فقال له : ما جاء بك يا أزهر ؟ قال : دعاء كنت أسمعك تدعو به يا أمير المؤمنين جئت لاكتبه ، فضحك ابو جعفر وقال : انه دعاء غير مستجاب وذلك انى دعوت الله الا آراك فلم يستجب لى ، وقد أمرنا لك باثنى عشر ألفا فاذهب وتعال متى شئت فقد أعيتنى فيك الحيلة .

(٣)

« أجواد الجاهلية »

الذين انتهى اليهم الجود في الجاهلية ثلاثة نفر : حاتم بن

---

(١) أزهر السمان هو أزهر بن سعد الباهلى من علماء الحديث بالبصرة توفى سنة ٢٠٣ هـ .

عبد الله الطائى ، وهرم بن سنان المرى ، وكعب بن مالة الايادى . ولكن المضروب به المثل : حاتم وحده وهو القتل لغلامه يسار .

أوقد فان الليل ليل قر ... والريح يا موقد ريح صر
لعلي يرى نارك من يعسر ... ان جلبت ضيفا فأنت حر

قالت زوار امرأة حاتم : أصابتنا سنة ، اقشعرت لها الارض واغبر افق السماء وراحت الابل حدبا حدابير ، وضنت المراضع على أولادها فما تبض بقطرة ، وحلقت السنة المال وأيقنا بالهلاك فوالله انا لفى ليلة صنبر بعيدة ما بين الطرفين اذ تضاغى صبيتنا جوعا : عبد الله وعدى وسفانة فقام حاتم الى الصبيين وقمت انا الى الصبية فوالله ما تكتموا الا بعد هدأة من الليل وأقبل يدانى بالحديث ، فعرفت ما يريد فتناومت ، فلما تهورت النجوم اذا شيء رفع كسر البيت ثم عاد فقال : من هذا ؟ قالت : جارتك فلانة ، أتيتك من عند صبية يتعاوون عواء الذئاب فما وجدت حيلا الا عليك يا أبا عدى . فقال : أعجليهم فقد أشبعك الله واياهم ـ وأقبلت المرأة تحمل اثنين ويمشي جانبيها أربعة كأنها نعامة حولها رئالها ، فقام الى فرسه فوجأ لبته بمدية فخر ثم كشطه عن جلده ورفع المدية الى المرأة فقال لها : شأنك ، فاجتمعنا على اللحم نشوى ونأكل ، ثم جعل يمشي في الحى يأتيهم بيتا بيتا فيقول : هبوا أيها القوم عليكم بالنار فاجتمعوا والتفع ثوبه في ناحية ينظر الينا فلا والله ان ذاق منه مزعة

---

(١) ليل قر بفتح القاف : بارد ـ صر بكسر الصاد أو البرد ـ المراد بالسنة القحط ـ حدابير جمع حدبار وهى الناقة الهزيلة الضامرة ـ تبض من بض الماء اذا سال قليلا قليلا ـ الصنبر : بالصاد المشددة المكسورة والنون المشددة المفتوحة والباء الساكنة أو المفتوحة : الليلة الباردة فى غيم (لسان العرب مادة صنبر) وتضاغوا : صاحوا تهورت : ذهبت وولت

وانه لاحوج اليه منا فأصبحنا وبنا على الارض من الفرس الا عظم ويافر فأنشأ حاتم يقول :

مهلا فداء أقلى اللوم والعذلا ولا تقولى لشيء فات ما فعلا
ولا تقولى لمال كنت مهلكه مهلا وان كنت اعطى الانس والخبلا
يرى البخيل سبيل المال واحدة ان الجواد يرى في ماله سبلا (١)

وأما هرم بن سنان فهو صاحب زهير الذى يقول فيه :

متى تلاق على علاته هرما تر السماحة في خلق وفي خلق

وكان سنان أبو هرم سيد غطفان وفي بنى سنان يقول زهير :

قوم أبوهم سنان حين تنسبهم طابوا وطاب من الاولاد ما ولدوا
لو كان يقعد فوق الشمس من كرم قوم بأولهم او مجدهم قعدوا
جن اذا فزعوا ، انس اذا أمنوا مرزءون بها ليل اذا قصدوا
محسدون على ما كان من نعم لا يفزع الله منهم ماله حسدوا (٢)

وأما كعب بن مامة فلم يأت عنه الا ما ذكر من ايثاره رفيعة النمرى بالماء حتى مات عشا ونجا النمرى ٠٠ وله يقول حبيب (٣) :

يجود بالنفس ان ضن البخيل بها والجود بالنفس اقصي غاية الجود

٣ ـ «أجواد أهل الاسلام»

وأما أجواد اهل الاسلام فأحد عشر رجلا في عصر واحد لم يكن

---

(١) الرأل : ولد النعامة أو مامضى عليه حول ـ مزعة : قطعة ـ العذل: اللوم ـ الخبل : الجن ـ مرزءون : كرماء كثيرا ما يصابون فى أموالهم ٠
(٢) مقتطفات من كتب الأدب العربى ص ٢٧٣ ٠
(٣) يقصد بحبيب أبى تمام حبيب بن أوس الطائى ٠

قبلهم ولا بعدهم مثلهم فأجواد الحجاز ثلاثة في عصر واحد : عبيد الله بن العباس ، وعبد الله بن جعفر وسعيد بن العاص . وأجواد البصرة خمسة في عصر واحد ، وهم عبد الله بن عامر ، وعبيد الله ابن أبى بكرة ومسلم بن زياد وعبيد الله بن معمر القرشي ، وطلحة الطلحات وهو طلحة بن عبد الله وله يقول الشاعر يرثيه وقد مات بسجستان وهو ال عليها :

نضر الله أعظما دفنوها بسجستان طلحة الطلحات

وأجواد الكوفة ثلاثة في عصر واحد : وهم عتاب بن ورقاء الرياحى ، وأسماء بن خارجة الفزارى ، وعكرمة بن ربعى الفياض .

فمن جود عبيد الله بن عباس انه أتاه سائل وهو لا يعرفه فقال له : تصدق ، فانى نبئت أن عبيد الله بن عباس أعطى سائلا ألف درهم واعتذر اليه فقال له : وأين أنا من عبيد الله ؟ قال : أين أنت منه في الحسب أم في كثرة المال ؟ قال : فيهما ، قال : أما الحسب في الرجل فمروءته وفعله واذا شئت فعلت واذا فعلت كنت حسيبا فأعطاه ألفى درهم واعتذر له من ضيق الحال ، فقال السائل : ان لم تكن عبيد الله بن عباس فأنت خير منه وان كنت هو فأنت اليوم خير منك أمس ، فأعطاه ألفا أخرى فقال السائل . هذه هزة كريم حسيب ، والله لقد نقرت حبة قلبى فأفرغتها في قلبك فما أخطأت الا باعتراض الشك بين جوانحى .

ومن جود عبد الله بن جعفر انه أعطى امرأة سألته مالا عظيما فقيل له : انها لا تعرفك وكان يرضيها اليسير ، قال : ان كان يرضيها اليسير فانى لا ارضي الا بالكثير وان كانت لا تعرفنى فأنا اعرف نفسي .

ومن جود سعيد بن العاص انه كان يسمر مع سماره الى ان ينقضي حين من الليل فانصرف عنه القوم ليلة ورجل قاعد لم يقم فأمر سعيد باطفاء الشمعة وقال ما حاجتك يا فتى ؟ فذكر أن عليه دينا اربعة الاف درهم فأمر له بها ، وكان اطفاؤه للشمعة أكثر من عطائه ٠

ومن جود عبيد الله بن ابى بكرة انه أدلى اليه رجل بحرمه فأمر له بمائة ألف درهم فقال : أصلحك الله ، ما وصلنى أحد بمثلها قط ، ولقد قطعت لسانى عن شكر غيرك وما رأيت الدنيا في يد أحسن منها في يدك ولولا انت لم يبق لها بهجة الا أظمت ولا نور الا انطمس (١) ٠

كتاب الجمانة في الوفود

« ١ »

« فرش الكتاب »

قال احمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضي قولنا في الاجواد والاصفاد على مراتبهم ومنازلهم وما جروا عليه وما ندبوا اليه من الاخلاق الجميلة والجزيلة ، ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في الوفود الذين وفدوا على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى الخلفاء والملوك فانها مقامات فضل ومشاهد حفل ، يتخير لها الكلام وتستهذب الالفاظ وتستجزل المعانى ولابد للوافد على قومه ان يكون عميدهم وزعيمهم الذى عن قوسه ينزعون وعن رأيه يصدرون فهو واحد يعدل قبيلة ولسان يعرب عن ألسنة ، وما ظنك بوافد قوم يتكلم

---

(١) مقتطفات من الأدب العربى ص ٢٧٥ ٠

بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم او خليفته او بين يدى ملك جبار في رغبة او رهبة ، يوطد لقومه مرة ويتحفظ ممن امامه اخرى ، أتراه ادخرا نتيجة من نتائج الحكمة او مستبقيا غريبة من غرائب الفطنة ؟ أم تظن القوم قدموه لفضل هذه الخطة الا وهو عندهم في غاية الحذلقة (١) واللسن ومجمع الشعر والخطابة ألا ترى أن قيس بن عاصم المقرى لما وفد على النبى صلى الله عليه وسلم بسط رداءه وقال : هذا سيد الوبر ٠ ؟

« ٢ »

« وفود نابغة بنى جعدة على النبى »

« صلى الله عليه وسلم

وفد أبو ليلى نابغة بنى جعدة على النبى صلى الله عليه وسلم فأنشده شعره الذى يقول فيه :

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا وانا لنبغى فوق ذلك مظهرا

قال له النبى : الى اين ابا ليلى ؟ قال : الى الجنة قال النبى : ان شاء الله فانما انتهى الى قوله :

ولا خير في حلم اذا لم نكن له بوادر تحمى صفوة أن يكدرا

قال له النبى : صلى الله عليه وسلم : لا يفضض الله فاك ٠ فعاش مائة وثلاثين سنة لم تسقط له سن وبقى حتى وفد على عبد الله بن الزبير بمكة في أيامه وامتدحه ، فقال له : يا أبا ليلى ٠ وان أدنى وسائلك عندنا الشعر ٠ لك في مال الله حقان ٠ حق برؤيتك رسول الله وحق بشركتك أهل الاسلام في فيئهم ٠٠ ثم أحسن صلته وأجازه ٠

---

(١) الحذلقة : اظهار الحذق والمهارة ـ البادرة : ما يبدو من الحدة فى الغضب من قول أو فعل ٠

(٢) لا يفضض فاك لا يسقط أسنانك ٠

وفود بكارة الهلالية
على معـــاوية

قال الشعبى : استأذنت بكارة الهلالية على معـــاوية بن ابى سفيان فأذن لها وهو يومئذ بالمدينة ، فدخلت عليه وكانت امرأة قد أسنت وعشي بصرها وضعفت قوتها ترعش بين خادمين لهـــا ، فسلمت وجلست فرد عليها معاوية السلام وقال : كيف أنت يا خاله؟ قالت : بخير يا أمير المؤمنين ، قال : غيرك الدهر قالت : كذلك هو ذو غير من عاش كبر ومن مات قبر • قال عمرو بن العاص : هى والله القائلة يا أمير المؤمنين :

يا زيد دونك فانشـــر من دارنا سيفا حساما في التراب دفينـــا
قد كنت أذخـــره ليـــوم كريهـــة فاليـــوم أبرزه الزمان مصـــونا

قال مروان : وهى والله القائلة يا أمير المؤمنين :

أترى ابن هنـــد للخـلافة مالكـا هيهـات • ذاك وان أراد بعيـــد
منتك نفسك في الخـــلاء ضـلالة أغراك عمـرو للشـقا وسـعيد

قال سعيد بن العاصي : هى والله القائلة :

قد كنت أطمـع ان أموت ولا أرى فوق المنـــابر من أميـة خاطبـا
فالله أخـــر مدتى فتطـــاولت حتى رأيت من الزمان عجائبـــا
في كل يوم للـــزمان خطيبهـــم بين الجميع لآل أحمـــد عائبـــا

ثم سكتوا فقالت : يا معاوية • كـــلامك أعشي بصرى وقصر حجتى ، وانا والله قائلة ما قالوا وما يخفى عليك منى أكثر •فضحك وقال : ليس يمنعنا ذلك من برك • اذكرى حاجتك • قالت : أما الان فلا •

د• أحمد أحمد منصور نفادى
مدرس الادب والنقد
كلية اللغة العربية جامعة الازهر بأسيوط